Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (3), Issue (10): 30 Oct 2019
P: 175 - 186

ISSN: 2522-3380

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (3)، العدد (10): 30 أكتوبر 2019 م
ص: 175 - 186

Textual Sentence

Hasan Mohammed Mfreg
Umm Al-Qura University || KSA

Abstract: This research focuses on the definition of the term of textual sentence by explaining its definition, indicating the type of semantics within it and clarifying how to identify its boundaries. However, it will begin explaining in details the so-called system sentences, which will help to recognize differences between them and the textual ones through demonstrating the concept of system sentences and the type of semantics inside them. The result of this research is to arrive at a more acceptable sentence definition than the definitions of former Arab and Western linguists. This research, also, will also contribute to solving the apparent problem in Arabic writing which is the confusion that a writer encounters when he wants to end a sentence.

Keywords: sentence, text, syntax, concept.

الجملة النصية

حسن محمد مفرق
جامعة أم القرى || المملكة العربية السعودية

الملخص: يركّز هذا البحث على بيان مفهوم مصطلح الجملة النصية بشرح تعريفها وبيان نوعية الدلالة داخلها ثم كيفية تمييز حدودها. لكنّه سيبدأ بالتفصيل في ما يسمى بجمل النظام والتي ستساعد في إدراك الفرق بينها وبين النصية وذلك من خلال بيان مفهوم هذا النوع من الجمل ونوعية الدلالة الموجودة فيها. النتيجة الظاهرة في هذا البحث هو الوصول لتعريف مقبول أكثر وضوحاً من تعاريف السابقين من لغويي العرب والغرب. كما إن هذا البحث أيضاً سيساهم في حل إشكال ظاهر في الكتابة العربية وهو عدم معرفة حدود الجمل أثناء الكتابة نظراً لغموض مفهوم الجملة.

الكلمات المفتاحية: جملة، نص، نحو، مفهوم.

مقدمة

ظهر في الدرس اللساني في العقود الأخيرة تصنيف جديد للجملة حيث تم تقسيمها إلى جملة نظامية وجملة نصية لكنه لم يتم التفرقة بينهما بوضوح. هذا النوع من التقسيمات لم يكن ليظهر لولا بوادر النزعة النصية في الدرس اللساني الذي بدأ حينها يحاول الخروج من أسر النماذج التي تصف تراكيب لغة ما ونظامها إلى مجال الحدث الكلامي وهو الواقع اللغوي الذي يستخدمه البشر للتعبير عن أغراضهم بأي لغة من اللغات. أي إنّ وصف النماذج التركيبية للغةٍ ما شيء، بينما الاستخدام اللغوي الفعلي للغة شيء آخر. الخلط بينهما هو ما أسفر عن اضطراب بالغ في بيان مفهوم الجملة لدى العلماء اللغويين العرب وغيرهم من لغويي الغرب ممن نقل عنهم ما يربو على ثلاثمائة تعريف للجملة كما ذكر محمود أحمد نحلة نقلاً عن يونج W. Yung.[1]

(1). مدخل إلى دراسة الجملة العربية، محمود نحلة، دار النهضة العربية . بيروت، ١٩٨٨. ص ١١

ظهرت دراسات عديدة تفرق بين نحوي النص والجملة، وقد يرد فيها ذكر لتعريفي جملة النظام والجملة النصية. من هذه الدراسات على سبيل المثال: الكلام والجملة في ضوء نحو النص لفؤاد حمادة، نحو النص ونحو الجملة لتمام حسان، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص لسعد مصلوح، نسيج النص للأزهر الزناد، الفرق بين نحو الجملة ونحو النص لهالة مقبل وغيرها من الأبحاث التي كان صلب اهتمامها هو تسليط الضوء على أهمية لسانيات النص والتفريق بينها وبين لسانيات الجملة. لقد تم التطرق في بعض تلك الأبحاث للتفريق المشهور عن جون ليونز John Lyons بين جملة النظام والجملة النصية،[2] لكنْ أيّاً منها لم يفصّل في بيان مفهوم الجملة النصية بما يجعلها متمايزة عن جملة النظام وما يسمى بمصطلح الكلام. إنّ هذا البحث . في رأيي . يقوم بتوضيح مفهوم الجملة النصية والتمييز بينه وبين بقية مصطلحات الجملة التي تظهر في أغلب الأبحاث مختلفة في المسميات لكنّها تتداخل عند محاولة بيان مفاهيمها حيث يقع الخلط بين الجمل المنجزة في مقامٍ ما وبين الجمل التي لا غرض منها إلا التعبير عن نماذج اللغة المقبولة والممكنة.

سوف أركز على مفهوم الجملة النصية مفرّقا بينه وبين ما يسمى بجمل النظام. سأبدأ بالحديث عن جمل النظام لأن إدراك مفهومها سيساعد كثيراً في فهم المراد من مصلح الجملة النصية. لقد كان الغالب على اللغويين الذين تعاملوا مع مفهوم الجملة وحاولوا تعريفها هو الخلط بين النوعين السالفي الذكر من الجمل. أرجو في نهاية هذا البحث أن يتمايز المفهومان ويصبح تعريفهما أكثر وضوحاً وهذا بدوره سيكون له أثر كبير على عمليات التطبيق تحليلا كان أم تركيبا. في رأيي إن إدراك مفهوم الجملة النصية سيحل إشكالاً ظاهراً في الكتابة العربية وهو عدم القدرة على تحديد نهاية الجملة بدقة.

سوف يشتمل البحث على المحاور التالية:

أولاً: جملة النظام system sentence

أ- تعريف جملة النظام

ب- الدلالة في جمل النظام

ثانياً: الجملة النصية Text Sentence

أ- تعريف الجملة النصية

ب- الدلالة في الجملة النصية

ثالثاً: اقتراح تعريفات لأنواع الجمل

رابعاً: مثال لتوضيح الفرق بين أنواع الجمل

أولاً- جملة النظام system sentence

أغلب التعاريف التي وردت للجملة في كتب النحو العربي بل وحتى في المصنفات اللغوية عند غير العرب كانت لنوع من الجمل يسمى بجمل النظام لأن جلّ التركيز كان على الجانب التركيبي. وجمل النظام هي الجمل التي تمثّل النماذج الممكنة والمقبولة في لغة من اللغات. يقول الأزهر الزناد عن جملة النظام إنها: «شكل الجملة المجّرد الذي يولّد جميع الجمل الممكنة والمقبولة في لغة ما».[3] هذا التعريف هو الذي اعتمده النحاة التوليديون التحويليون في تناولهم للجملة مستقلة عن السياق.[4]

(2). اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، دار النهضة العربية، ط١. ص ٢٢٦

(3)- نسيج النص؛ بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، ١٩٩٣، ط١/ المركز الثقافي العربي. ص١٤

(4)- نحو النص؛ اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، ٢٠٠١، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق. ص ١٩

بالنسبة للخلافات التي حدثت في تعريف الجملة سواءً في تراثنا القديم أو عند علماء اللغة الغربيين القدامى أو المحدثين فقد كانت بسبب أنهم يحاولون وضع تعريف يصف مفهوم الجملة دون أن يحددوا أي نوع من الجمل يريدون؛ إذ إنّ الجملة أحيانا يراد بها فقط وصف النماذج اللغوية الممكنة والمقبولة في اللغة وطوراً يراد بها التعبير عن ما اكتمل فيه الجانبان التركيبي والدلالي دون اشتراط أن تقع داخل سياق تفاعلي محدد. نتيجة لهذا الخلط بين المفاهيم وجدنا بعض التعاريف التي سيقت لتعريف الجملة خرجت من إطار وصف النماذج اللغوية المقبولة إلى وصفٍ للجانب التفاعلي في الجملة والذي يقوم بشكل كبير على الناحية الدلالية التي تمّ التعبير عنها بالإفادة التي يحسن السكوت عليها. أشار عبد الرحمن أيوب إلى ذلك حين يقول: « مجموع نماذج الجمل في لغة من اللغات هو ما يسمى بعلم النحو syntax أما الأمثلة التطبيقية لهذه النماذج فليست علماً، بل أحداثاً واقعية سماها علماء اللغة المحدثون بالكلام. والكلام عندهم بناءً على هذا نظير للكلام عند النحاة العرب الذين عرفوه ... بأنه ما دلّ على أكثر من معنى مفرد وأفاد فائدة تامة، أي إنهم لم يقصدوا به النماذج التركيبية للجمل بل الأمثلة الواقعية لها».[5] يتبيّن لنا أن هناك خلطاً ظاهراً بين مفهوم جملة النظام ومفهوم الكلام مما أدّى إلى اضطراب واضح في التعاريف واختلافها قديماً وحديثاً.

الخلط بين النظام اللغوي والاستعمال قاد للخلط بين جمل النظام والجمل النصية. الكلام أو ما يسمى بالحدث الكلامي قد يشتمل على معايير معينة تجعل الكلام نصاً. الجمل التي يتكوّن منها النص وفق ترابطات لفظية ومعنوية معيّنة تسمى بجمل النص أو الجمل النصية. هنا يظهر تداخل آخر بين نوعين آخرين من الجمل وهما جمل النظام والجمل النصية. جملة النظام تدخل في إطار نظام لغوي افتراضي لا تفاعلي؛ هذا يجعل البحث فيها مندرجاً تحت دوائر أبحاث نحو الجملة. أما الجمل النصية فهي تطبيق واقعي للاستعمال اللغوي فالحديث عنها وعن مفهومها وترابطاتها الداخلية والخارجية يعد من موضوعات نحو النص. إدراك الفارق بين جملة النظام والجملة النصية سيساعد بشكل كبير على تمييز المفهومين ذهنياً ثم القدرة على وضع تعريف دقيق يعبّر عن كل منهما بدقة ووضوح.

يبدو أن النحاة العرب المتأخرين أخذوا يلاحظون التداخل بين النظام اللغوي وبين الاستعمال الواقعي للغة فجعلوا مصطلح الجملة معبراً عن وصف نماذج النظام بينما الكلام للتعبير عن الاستعمال الفعلي للغة. حاولوا وضع تعريفات محددة قادرة على ضبط المفهومين إلا إنّ التعريفات لم تكن ضابطة كما أنّ التطبيقات التحليلية التي قاموا بها كانت تنبئ عن اختلاط المفهومين في أذهانهم. مع ذلك فما وصلوا إليه أعتبره نقلة نوعية في مستوى الإدراك للغة التي بدأوا يلاحظون الفرق بين نظامها التركيبي وواقعها التفاعلي وإن لم ينجحوا في الفصل بينهما بدقة. إدراكهم كان خطوة في طريق الفصل بين نظام اللغة والكلام وهو ما أكمله علماء الغرب وأحسنوا فيه وأولهم دي سوسير De Saussure الذي قام صلب أبحاثه اللغوية على الحديث عن ثنائيتي اللغة والكلام. بعده تواصلت المعرفة اللغوية وتطورت حتى أصبح هناك تمييز ظاهر بين جملة النظام والجملة النصية خصوصاً مع ظهور لسانيات النص.

الذي أوقع في الخلط بين مفهومي جمل النظام والكلام هو أنّ نماذج اللغة التجريدية لا يمكن إيضاحها بدون أمثلة؛ تلك الأمثلة تحمل معان في غالب الأحيان تكون مفهومة وتامة. أدى ذلك إلى ترابط وثيق في أذهانهم بين الجانب الشكلي والجانب الدلالي لذا وجدنا من يشترط في الجملة تمام المعنى أو الاستقلال إلى جانب كونها مشتملة على الحد الأدنى من العناصر اللغوية التي بها تعتبر الجملة جملة.

(5)- دراسات نقدية في النحو العربي، عبدالرحمن أيوب، مؤسسة الصباح نشر وتوزيع . الكويت. ص ١٢٥

أ- تعريف جملة النظام

جمل النظام هي كيانات تجريدية تمثل النظام اللغوي للغة ما، أو بمعنى آخر تمثيل القوالب اللغوية التي يمكن من خلالها وصف نظام لغة من اللغات. هذه القوالب اللغوية حسب نظام الموقعية في أي لغة من اللغات قابلة لأن تستقبل أي عنصر لغوي يندرج تحت شروط الصيغة أو التركيب. يتضح ذلك بالشرح التالي:

نموذج تجريدي

س + س

هذا نموذج تجريدي لنمط من أنماط الجملة العربية وهو الجملة الإسمية {اسم + اسم} والتي يرتبط عنصراها الإسناديان برابط غير منظور أشرت له برمز +. في بعض اللغات الهندوأوربية يكون الرابط الإسنادي منظوراً، يظهر ذلك بجلاء في اللغة الإنجليزية في ما يسمى بالأفعال المساعدة Helping Verps مثل: (is, was , are, were, do, did).

وصف وظيفي لغوي للنموذج التجريدي

مبتدأ + خبر

هذا وصف للجانب الوظيفي النحوي أي إنه محاولة وصف وتقريب للنموذج التجريدي باستخدام المصطلح النحوي.

مثال على جملة النظام باستخدام عناصر لغوية مستخدمة عند متحدث اللغة

(السماء صافية.)

هذا مثال للعلاقة الوظيفية بين عنصرين لغويين يمثلان المسند والمسند إليه (المبتدأ والخبر) اللذين تربط بينهما علاقة إسنادية غير منظورة لكنّها معلومة لدى متحدث اللغة، إذ إنّ قولنا (السماء) مفردة يشعر المتحدث والمستمع باحتياجها إلى مفردة أخرى تتمّم معناها (جانب دلالي). المثال السابق (السماء صافية) يعتبر مثالاً لجملة نظام، وكذلك يصح كونها مثالاً للحدث الكلامي الذي أسماه النحاة بالكلام لأنّها مكتملة الإسناد وذات معنى مفيد يحسن السكوت عليه. نلاحظ في المثال أنها تداخلت الناحية الدلالية مع الناحية الشكلية عند التحليل وهو ما جعل المعنى يتداخل مع المبنى في الدرس النحوي مما أدى بدوره إلى اضطراب ظاهر في تعريف الجملة العربية.

مثال على الجملة النصية

(السماء صافية.) في الحوار التالي بيني وبين صديق يسأل عن الطقس:

- (هل تتوقع أنني أستطيع السفر اليوم أم أن السماء ستمطر؟
- السماء صافية. لا أظنّ أنها ستمطر بناءً على توقعات نشرة الأحوال الجوية اليوم).

جملة (السماء صافية) جملة مكتملة التركيب من الناحية الشكلية وكذلك تامّة الدلالة ومستقلة. جاءت هنا داخل سياق تواصلي وتعبر عن فكرة واضحة وكاملة. في هذا النوع يأتي التداخل بين نحو الجملة الذي محوره جمل النظام وبين نحو النص الذي تدور موضوعاته حول النصوص التي تتكون من جمل نصية. المثال السابق (السماء صافية) في السياق المذكور سلفاً يعتبر مثالاً على ما يسمّى بالجملة النصية. الحديث عن مثل هذا النوع من الجمل يعتبر من مواضيع نحو النص الذي يتجاوز الحديث عن الجمل المنعزلة عن السياقات.

حتى أقرّب الفكرة أكثر فالقالب اللغوي لا علاقة له بالمعنى فلو قلت: (الرِنَاوُ باغِبَةٌ) لكان تمثيلاً أيضاً لجملة إسمية مكوّنة من مبتدأ وخبر حتى لو تكن حاملة لمعنى. يكفي أن تكون الكلمة حاملة لشروط الصيغة والتركيب حتى تقع موقع قالب ما. صيغة (الرِنَاوُ) تدل على أن الكلمة تصح أن تكون اسماً حيث وزنها من أوزان الأسماء (فِعَال) التي يصح أن تقع موقع قالب المبتدأ، وكذلك (باغِبَةٌ) صيغة وصف على وزن (فاعِل) يصح أن يقع موقع قالب الخبر. هذا المثال يختلف عن التمثيل بمثال خاطئ المعنى كقولهم: (السماء جائعة) لأن الحديث انتقل هنا للجانب الدلالي وهو كون الجملة ذات معنى مستقيم أو خاطئ. أما المثال الذي سقته فهو يشتمل على كلمتين؛ من حيث الصيغة تصح أن تقع موقع أي عنصر لغوي اسمي في نمط الجملة الاسمية لكنّها لا تحمل أي معنى وهي ليست من مفردات اللغة ولن يُفْهم منها أي معنى لدى المتحدث بالعربية.

هذا لا يعني أنه ينبغي على واضع قواعد اللغة أن يصنع أمثلة غير مفهومة بكلمات لا يُعْرَف معناها ليخرج من وطأة الجانب الدلالي أثناء الدراسة الشكلية لبنية لغة ما. مرادي فحسب كان التأكيد على أنّ استخدام الأمثلة لشرح نماذج اللغة التجريدية ساهم في الخلط بين الدراسة الدلالية وبين الدراسة الشكلية التركيبية. هذا بدوره قاد إلى الخلط بين مفاهيم جملة النظام، الكلام والجملة النصية لدى علماء اللغة قديماً وحديثاً.

يكاد يكون جون ليونز John Lyons هو المرجع في التفرقة بين جمل النظام والجمل النصية لكنّه أيضاً وقع في الخلط بين الجملة الكلامية (الكلام) والجملة النصية. يقول: « ويتفق الذين يميزون بين الجمل والأقوال -بشكل عام -على أن الأولى بخلاف الثانية كيانات تجريدية مستقلة عن السياق أي: إنها لا ترتبط بزمان معين أو بمكان معين فهي وحدات في النظام اللغوي الذي تنتمي إليه».[6] في الحقيقة إن الأمثلة التي أسماها بالجمل، قاصداً جمل النظام، ليست هي الكيانات التجريدية وإنما هي تمثيل لتلك الكيانات بعناصر لغوية (كلمات) مستخدمة لدى متحدثي اللغة. ينجم عن ذلك الربط بين تلك العناصر تراكيب تحمل معاني مفهومة لدى متحدث اللغة ولكن ليس بالضرورة أن تكون حاملة لمعنى تام. الدليل على ذلك أنه قام يفرق بين دلالات بعض الجمل المستقلة ودلالاتها داخل سياقات أخرى. مناقشة القضايا الدلالية عند الحديث عن الجوانب التركيبية للغةٍ ما يخلط بين مستويين من مستويات التحليل اللغوي؛ مستوى التحليل التركيبي ومستوى التحليل الدلالي. هذا كما أسلفت هو ما قاد إلى الخلط بين جمل النظام (القوالب اللغوية القابلة لعناصر لغوية وفق شروط تركيبية خاصة داخل كل لغة من اللغات) والكلام (الاستخدام الفعلي للغة بجمل تامة الدلالة والتركيب ولكن دون أن تكون في سياق معين) وكذلك بين الجمل النصية (وهي المستخدمة في سياقات تواصلية محددة لإيصال رسالة ما).

ب- الدلالة في جمل النظام

هل معنى هذا أن جمل النظام لا علاقة لها بالدلالة؟ علم الدلالة يساعد كثيراً في شرح النماذج التجريدية لنظام لغة ما لأن بعض الوظائف النحوية لا تظهر إلا من خلال مثال يحمل معنى. على سبيل المثال التفريق بين الوصف الواقع حالاً أو نعتاً في حال وقوعهما عنصرين إلحاقيين لمركب فعلي إسنادي؛ (ف + س > س). هذا الترميز للكيان التجريدي يدخل فيه الأنماط التالية:

فعل + فاعل > مفعول به

فعل + فاعل > مفعول فيه

فعل + فاعل > مفعول له

(6)- اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، ص ٢٢٦

فعل + فاعل > حال

فعل + فاعل > صفة

لا يمكن معرفة العناصر الوظيفية التي تقع في نفس الموقع الإلحاقي بعد المركب الفعلي إلا باستخدام الأمثلة التي تحمل معاني داخل الجمل.

فعل + فاعل > مفعول به

(شرب + زياد > الماء)

فعل + فاعل > مفعول فيه

(استيقظ + محمد > صباحاً)

فعل + فاعل > مفعول له

(سجد + حسام > شكراً)

فعل + فاعل > حال

(جاء + إبراهيم> راكضاً)

فعل + فاعل > صفة

(أتى + أحمد > الكريم)

جميع الوظائف النحوية للعناصر اللغوية الإلحاقية للمركب الفعلي لا يمكن تمييزها بدون الأمثلة الحاملة للمعاني. معنى هذا إنّ هناك نوعاً من التداخل سيحدث بين علم الدلالة وعلم النحو (التركيب) وهو ما أحدث صعوبة في التفريق بين مفهومي الجملة والكلام قديماً، ثم لاحقاً بين جملة النظام والجملة النصية. لكن في رأيي أن الفرق بيّنٌ الآن ويظهر من ناحيتين:

أولاً: الدلالة لها نوعان: أولاهما: الدلالة الداخلية (داخل الجملة) أي معانٍ داخل الجملة تضمن الترابطات المعنوية داخل الجملة وتعين على تفسير الوظائف النحوية التي تقع في الموقع الواحد. النوع الثاني: دلالة خارجية (خارج حدود الجملة الواحدة) أي معانٍ تربط بين الجمل داخل الجملة النصية أو بين الجمل النصية داخل النص. أي إن نوع الدلالة الذي نحتاجه أثناء الحديث عن جمل النظام هو ذلك النوع الذي يندرج تحت الدلالة الداخلية.

ثانياً: إن هناك فرقاً بين المعنى والفكرة. جمل النظام لا تخلو أمثلتها من المعنى ما دامت المفردات المستخدمة هي عناصر لغوية مستخدمة عند متحدث اللغة، إلا إنه لا يشترط فيها وجود الفكرة (الصورة الذهنية تامة كانت أو جزئية). بينما الجملة النصية يشترط فيها وجود الفكرة؛ أي صورة ذهنية جزئية تتظافر مع بقية الصور الذهنية الجزئية الموجودة في الجمل النصية الأخرى لتخدم فكرة النص الكبرى (الصورة الذهنية الكبرى) التي يطمح مرسل النص في إيصالها إلى المتلقي. هنا تأتي نقلة نوعية أخرى من نطاق المعاني التي قد تحملها الجمل النظامية بل وجمل الكلام (أسميها الجملة الكلامية) إلى نطاق الأفكار التي تتظافر الجمل النصية لإيصالها عبر الوسيط النصي.

ثانياً- الجملة النصية Text Sentence

يذكر الأزهر الزناد أنّ النص الذي يساوي الجملة يطلق عليه جملة نصية، وهي الجملة المنجزة فعلاً في المقام الذي تتوفر فيه ملابسات كثيرة يقوم عليها الفهم والإفهام.[7] على حسب قوله فهو يرى أنه قد يحدث التداخل بين جملة النظام والجملة النصية حين تكون جملة النظام منجزة في مقام تواصلي معين وتتوفر فيها المعايير التي تجعل

(7). نسيج النص، الأزهر الزناد، ص ١٤

الجملة نصاً. هنا هو يفرق بين نوعين من الجمل ويستبعد النوع الثالث وهو الذي أشير إليه بمصطلح الجملة الكلامية (الكلام). يستقيم حديثه لو أنه ذكر أن الجملة الكلامية قد تتحول لجملة نصية لأنهما جميعاً تعتبران حدثاً كلامياً وواقعاً لغوياً، يفرق بينهما كون إحداهما لا يشترط فيها أن تكون في سياق تواصلي أما الأخرى فيشترط إنجازها في مقام تواصلي معين. بناءً على هذا لا أحبذ الرأي القائل بتحول الجملة النظامية لكلام (جملة كلامية) أو لجملة نصية لكون الغرض في كل منهما مختلف؛ فالأولى مجرد توصيف لنماذج نظام لغوي ببيان قوالب ذلك النظام والعلاقات الرئيسية والثانوية بينها، بينما غرض الأخرى (الجملة الكلامية) تحقق الإفهام عن طريق اكتمال المعنى الدلالي لدرجة أنه كما أسلفنا في عرض تعريفات الكلام عند بعض النحاة الأوائل وجدنا بعضاً منهم لا يشترطون في الكلام اكتمال عنصري الإسناد بل أشاروا إلى أن كلمة واحدة بل حتى جزء منها قد يكون كلاماً كما ذكر ابن جني (ت ٣٩٢هـ)[8] أو أنّ حرف النداء واسمه يكوّنان كلاماً كما ذكر ابن برهان (٤٥٦هـ)[9] وغيره.

لو قلنا بأنّ الجملة الكلامية قد تتحول لجملة نصية، فهل معنى هذا أن النص قد يتكون من جملة نصية واحدة؟ نعم قد يحدث هذا ما دام هناك سياق مقامي يراد فيه إيصال رسالة تواصلية محددة يكفي في إيصالها جملة نصية واحدة. على سبيل المثال لو سألني أحدهم عن جدولي اليومي فقلت: (جدولي اليومي يتراوح بين قراءة، رياضة واسترخاء.) هذه الجملة تعتبر جملة نصية لأنها تركيبياً تتفق مع جملة النظام في قوانين التركيب، وتتفق مع شرط الجملة الكلامية وهو الإفادة التامة التي يحسن السكوت عليها، إضافة إلى ذلك فقد قيلت في سياق مقامي معيّن توفرت فيه معايير النصية. في لسانيات النص غالباً لا يتم التعامل مع جملة نصية واحدة لأنها . كما ذكرت . نادرة الحدوث إلا في السياقات الحوارية التي تجعل الجملة النصية بمفردها نصاً مستقلاً في الظاهر ولكن في الحقيقة إنّ ملابسات المقام هي التي سمحت للنص بأن يحتوي على هذا الحد الأدنى من الجمل النصية.

الجملة النصية ليست مرادفاً للمصطلح المتعارف عليه بالجملة (جملة النظام) إذ جمل النظام لا هدف منها إلا وصف التركيب اللغوي دون إشارة للجوانب الدلالية إلا عند الحاجة لوصف وظائف نحوية معينة لا يكفي الموقع وحده لوصفها. الجملة النصية أيضاً ليست مرادفة للمصطلح المتعارف عليه عند النحاة بالكلام (الجملة الكلامية)، إذ الكلام ليس إلا ما يصطلح على تسميته بـ (الجملة المفيدة)؛ وهي تلك الجملة التي اكتمل فيها عنصرا الإسناد وأفادت فائدة يحسن السكوت عليها. الجملة الكلامية لا يشترط فيها أن تكون في سياق مقامي محدد وإنما يشترط فيها اكتمال المعنى فحسب بحيث يستطيع المتحدث أن يقف عليها. هي جملة مفيدة واحدة وليست ضمن جمل نصية أخرى.

هناك احتمال أن يكون مراد النحاة بالكلام؛ ذلك النوع من الجمل المنجزة في سياق تواصلي معيّن بدليل اشتراطهم أن يحسن الوقوف عليها ولكن يظل ذلك احتمالاً لأنهم لم يشيروا للمقام في حديثهم وإنّما كان الحديث عن المقام من مهام الدرس البلاغي. يغلب على ظني أنهم أرادوا بالكلام الجملة المفيدة تفريقاً بينها وبين جمل النظام التي كانوا يستخدمونها كثيراً في أمثلتهم لشرح النظام اللغوي التركيبي العربي. أي إنهم أثناء التعامل مع الجمل والأمثلة لاحظوا أنّ هناك جملاً مكتملة المعنى والتركيب وأخرى كاملة التركيب لكنّ الوقوف عليها متعذّر. (ظنّ محمد) تعتبر جملة لكنّ المستمع لن يستفيد منها شيئاً لو كان المراد هو التواصل معه فالدلالة هنا غير تامة لأن الفعل الوارد في المثال من تلك الأفعال التي لا تكتفي بالفاعل بل تحتاج إلى مفعولين لإتمام معناها. أما قولنا (ظنّ محمد أخاه قادماً)

(8) - الخصائص، ١/١٨

(9). شرح اللمع، ٢/١

فهي جملة مكتملة الدلالة داخلياً (دون علاقة دلالية خارجية بجمل سابقة أو لاحقة)، لذلك اعتبروا المثال الأول جملة والآخر كلاماً لأنه يحسن السكوت عليه. كذلك عند التعامل مع الجمل التي تكون داخل جملة أخرى لاحظوا أن هناك تركيباً لغوياً أكبر يحوي تركيباً أو تراكيب أصغر، فأسموا التراكيب الإسنادية الصغرى جملاً والتركيب اللغوي الأكبر كلاماً. لكنّهم في نظري واجهوا صعوبة حتى في التفرقة بين الجملة والكلام عند التطبيق لأن المفهومين كانا متداخلين نظراً لتداخل الجانبين الدلالي والشكلي في بحثهم النحوي.

أ- تعريف الجملة النصية

في رأيي أن التعريف الأمثل للجملة النصية هو أنها ذلك النوع من (الجمل التي استوفت جانبي التركيب والدلالة الجزئية المستقلة منجزة في مقام ما يجعلها مع بقية الجمل النصية نصاً مكتملاً ذا رسالة قصدية واضحة). القول بأن الجملة النصية هي النص الذي يساوي الجملة - كما ذكر الأزهر الزناد - يوقع في لبس يجعل تمييز المفاهيم عسيراً.

ب- الدلالة في الجملة النصية

الحديث عن الدلالة في الجملة النصية ذو مكانة بارزة لأن الجانب الدلالي هو الذي أحدث، كما أسلفت، التداخل المفهومي بين الجملة (جملة النظام) والكلام (الجملة الكلامية) عند النحاة العرب بل حتى عند علماء اللغة الغرب وهذا ما جعل تعريفات الجملة لديهم تختلف لدرجة أن تربو على الثلاثمائة تعريف.

كما أسلفت في الحديث عن الدلالة في جملة النظام، هناك نوعان من الدلالة:

أولهما: دلالة داخلية (داخل جملة النظام) إن اكتملت فالجملة كلاماً بالمصطلح النحوي القديم، وإن لم تكتمل فهي فقط (جملة نظام) ما دام تركيبها يحوي عنصري الإسناد كحد أدنى من المكونات التركيبية.

ثانيهما: خارجي (داخل النص) ويكون بين الجمل النصية. أي إنه يشترط في كل جملة نصية ما يشترط في جملة النظام تركيبياً مع زيادة اكتمال المعنى الدلالي المستقل بحيث يحسن السكوت عليها. لكن هناك شرطاً مهماً آخر وهو أن تشتمل على معنى جزئي رغم استقلاله إلا أنه متظافر مع بقية المعاني الجزئية للجمل النصية الأخرى داخل النص. كل معنى جزئي يعبر عن فكرة جزئية (جزء من الصورة الذهنية الكلية) تتآزر مع بقية الأفكار (الصور الذهنية الجزئية الأخرى) لتعبّر عن فكرة النص الكلية (الصورة الذهنية الكبرى) وهي التي تحقق القصديّة التي لا يقوم نص بدونها.

الآن لدينا مصطلحات وردت في هذا المبحث وهي: جملة، كلام، جملة نظام، جملة نصية. بينها تداخل كبير لا يكاد يخفى على القارئ في كتب اللغة سواءً المعنية بنحو الجملة أو نحو النص. تمييز هذه المصطلحات ذو أهمية بارزة لأن الانغماس في تفاصيل التحليلات النحوية في كلا النحويين؛ نحو الجملة ونحو النص، دون تمييز المفاهيم يغرق في مزيد من التفاصيل التي تزيد من تداخل المفاهيم واضطراب التعاريف.

ثالثاً- اقتراح تعريفات لأنواع الجمل

الجملة: (تركيب لغوي يحوي عنصري الإسناد كحد أدنى من العناصر اللغوية). الجملة هي لفظ عام وحينما نريد تخصيصها فإننا نستخدم المصطلحات الأخرى. أي إنّ جملة النظام تعتبر جملة وكذلك الجملة الكلامية (الكلام) تسمى جملة وأيضاً الجملة النصية تُعدّ جملة.

جملة النظام: (تمثيل رمزي بكيانات تجريدية تصف النظام اللغوي في لغة من اللغات). يجب فيها توفر عنصري الإسناد الأساسيين بصورتيهما {اسم + اسم} أو {فعل + اسم} لكنّ جملة النظام أيضاً لا تكتفي بعنصري

الإسناد لأنّها سوف تحوي كيانات تجريدية تصف النظام اللغوي ومكوناته مع بيان العلاقات بين تلك المكونات. في جملة النظام لا تشترط الإفادة لأن الجانب الدلالي لا قيمة له إلا في حالة الرغبة في وصف بعض المواقع الوظيفية التي لا تتبيّن إلا بحضور الجانب المعنوي.

الجملة الكلامية (الكلام): (هي التي اكتمل فيها عنصرا الإسناد وأفادت فائدة يحسن السكوت عليها.) هنا الجانب الدلالي يلعب دوراً أساسياً وليس ثانوياً لكن الدلالة المرادة هنا هي الدلالة الداخلية وليست الدلالة الخارجية التي لها ارتباطات بجمل سابقة أو لاحقة.

الجملة النصية: (هي التي استوفت جانبي التركيب والدلالة الجزئية المستقلة منجزة في مقام ما يجعلها مع بقية الجمل النصية نصاً مكتملاً ذا رسالة قصدية واضحة.)

رابعاً- مثال لتوضيح الفرق بين أنواع الجمل

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة. رجل أعطى بي ثم غدر. ورجل باع حرّاً فأكل ثمنه. ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره.»[10]

الحديث فيه أربع جمل نصية:

1- ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة.
2- رجل أعطى بي ثم غدر.
3- ورجل باع حرّاً فأكل ثمنه.
4- ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره.

الحديث يخدم فكرة كلية واحدة وهي التنفير من الغدر.

كل جملة نصية تعبّر عن فكرة جزئية داعمة للفكرة الأساسية من النص.

1- ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة.

هي الجملة النصية الافتتاحية وفكرتها (عِظَمُ جرمِ اقتراف الأفعال التالية).

الجمل النصية التالية جميعها جمل داعمة لأنها تفصّل الأفعال التي أجملتها الجملة النصية الأولى.

2- رجل أعطى بي ثم غدر.

جملة نصية كاملة وفكرتها: (الغدر بعد إعطاء العهد باليمين).

3- ورجل باع حرّاً فأكل ثمنه.

جملة نصية كاملة وفكرتها: (الغدر بالحر مع استحلال أكل ثمنه).

4- ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره.

جملة نصية كاملة وفكرتها: (الغدر بالأجير بعدم إعطائه حقه).

كل جملة نصية لها علاقة ببقية الجمل النصية في الحديث لأنها تتآزر لإيصال غرض النص الأساس وهو التنفير من تلك الأفعال الغادرة بجعل صاحبها خصيماً للخالق جل شأنه. نلاحظ أن كل جملة لها تركيب مستقل وكذلك معنى مستقل لكنّها أيضاً وردت في سياق مقامي معيّن جعل كلاً منها مجرد صورة ذهنية جزئية تتظافر مع

(10) - صحيح البخاري للإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١/٢٠٠٢. ص ٥٣١

صور أخرى من أجل الوصول إلى صورة ذهنية كاملة أراد النص إيصالها. هذه الصورة الكلية هي ما يعبر عنه بالمدرك المعرفي. هذا المدرك المعرفي لا يمكن التعبير عنه مباشرة ونقله من ذهن ملق إلى متلق إلا عن طريق وسيط مناسب ووفق ترابطات منطقية تساعد ذهن المتلقي على تصور نفس الفكرة الموجودة في ذهن الملقي.

في ما يلي مشجرة فكرية تعبّر عن الخريطة الذهنية للنص. من خلالها يسهل إدراك العلاقات بين الجمل النصية في الحديث.

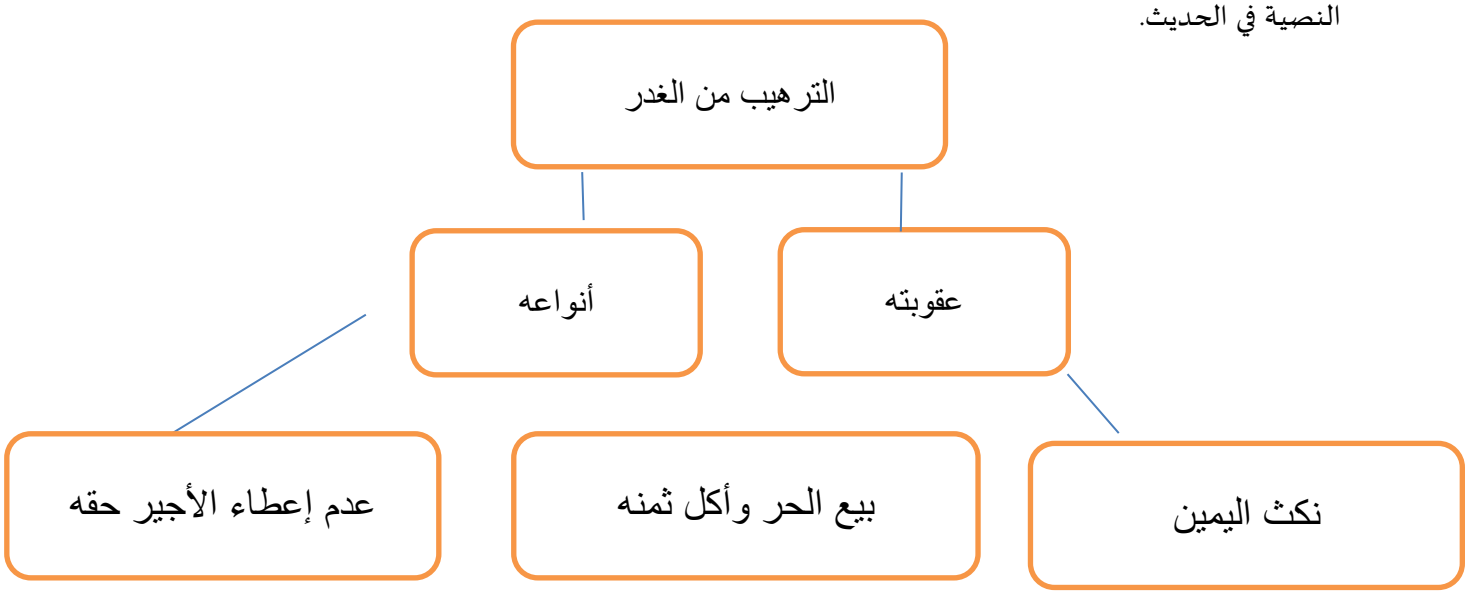

العقوبة هي في الجملة النصية الأولى. في هذه الجملة أيضاً إجمال للأصناف التي تستحق العقوبة. الجمل النصية الثلاث التالية هي تفصيل لإجمال الجملة النصية الأولى. والعلاقة بين الجمل النصية الثلاث أنها جميعاً تعتبر أمثلة لأنواع الغدر الشنيعة التي تستحق تلك العقوبة المغلّظة.

ماذا عن الجملة الكلامية؟ هل نستطيع أن نقول بأنّ كل جملة نصية مستقلة تعتبر جملة كلامية؟ أي جملة استوفت شرطي التركيب واكتمال المعنى الدلالي داخلياً فهي جملة كلامية. أي إنها لا بد أن تكون مستقلة عن السياق وإلا أصبحت جملة نصية. لو نظرنا في جمل الحديث النصية وحاولنا فهم كل منها بعيداً عن المقام لوجدناها تفتقد لاكتمال شرط الإفادة (اكتمال المعنى الدلالي الداخلي)، لذا لا يصح اعتبارها كلاماً لأن النحاة اشترطوا أن يحسن السكوت عليها وهي مستقلة. هذا لا ينطبق على الجمل النصية الواردة في الحديث، فلو قلت لمستمع: (رجل باع حرّاً فأكل ثمنه) لوقع في الحيرة وظلّ منتظراً سماع شيءٍ ما يجعله يدرك معنى الكلام. بعكس لو قلت: (ذهب أخي إلى الجامعة) فإنها جملة مكتملة التركيب ومفيدة فائدة يحسن السكوت عليها حتى لو لم ترد في سياق تواصلي.

ماذا عن جمل النظام؟ من الحديث السابق يستطيع النحوي أن يستخرج تراكيب مختلفة تشرح النظام التركيبي في اللغة العربية. لا يتوجّب عليه أن يختار جملاً كاملة المعنى بل يختار منها ما يحقق غرضه في التمثيل على تراكيب أساسية أو ثانوية أو للدلالة على وظائف نحوية معيّنة. الأمثلة التي يختارها غالباً تكون معزولة عن السياق الذي وردت فيه. هذا ما فعله النحاة مع الشواهد التي اختاروها للتمثيل على نظام اللغة الذي يحتوي على نماذج اللغة المقبولة والممكنة.

مثال على جمل نظام من الحديث: (رجل أعطى بي ثم غدر). يستخدم النحوي هذا المثال للدلالة على قوانين تركيبية مثل:

1- جواز حذف المبتدأ، لأن قانون التركيب الإسنادي يفرض ضرورة اكتمال العنصرين الإسناديين حتى تكون الجملة جملة فإن لم يوجد ذلك العنصر ظاهر اً فيجب تقديره (هو رجل) أو أي كلمة أخرى تجعل الإسناد مكتملاً مثل (من الغادرين رجل...).
2- حذف المفعول به لأنّ الفعل أعطى من الأفعال التعدية ويكون التقدير (أعطى عهداً) أو (أعطى يميناً).
3- جواز العطف ب (ثم) بين الجمل الفعلية (أعطى ثم غدر).

جملة نظام أخرى: (استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره). النحوي قد يستخدم هذا الجزء المثال من الحديث للتفريق بين التركيب الإسنادي الأصلي (استأجر...) وبين التراكيب الثانوية التابعة له بالعطف (استوفى...) و (لم يعطه...).

الملاحظ هنا أن شرح قوانين النظام اللغوي هو هدف النحوي ويستخدم لوصف ذلك النظام أمثلة يصنعها أو أجزاء من شواهد ينتقيها. إذاً الجمل النصية التي ترد في الدرس النحوي لا تدل على أنّ النحو العربي تقترب أبحاثه مع أبحاث نحو النص بل هي قطع منبتة من النصوص تخدم نفس الغرض الذي تخدمه الأمثلة المصنوعة. على هذا فالنحو العربي هو نحو جملة وليس نحو نص كما يعتقد البعض.

الخاتمة

إنّ تعريف الجملة العربية اضطرب لأن الجميع كان يبحث عن تعريف واحد لمفاهيم مختلفة. الجمل التي تشرح قوانين النظام اللغوي تختلف عن الجمل الكلامية المستقلة التي يهدف منها الدلالة على معنى مفيد يفهم منه المستمع شيئاً ما، أما الجمل النصية فهي مكوّنات تتظافر مع بعضها البعض لخدمة قصدٍ ما؛ يريد الملقي إيصاله إلى المتلقي. إذاً فالجمل النصية مفيدة داخل النص لكنّها عندما تنطق مستقلة فقد لا تفيد شيئاً بل تجعل المستمع أو القارئ محتاراً ينتظر المزيد من الألفاظ حتى يستطيع الفهم. بناءً على ما سبق ندرك أنّ مفاهيم الجمل اختلفت نظراً لاختلاف الأنواع أو الأغراض من تلك الجمل، لذا كان من الصعب الحصول على تعريف جامع مانع للجملة العربية. أما عند تحرير الأنواع وتمييز المفاهيم بمصطلحات متباينة تستطيع التعاريف أن تقوم بمهمتها في جلاء تلك المفاهيم بعبارات أكثر وضوحاً.

هنا يرد سؤال مهم؛ أين نستطيع إنهاء الجملة عند الكتابة؟ ولماذا لا يوجد اتفاق على نهاية الجمل؟ في جمل النظام لا نحتاج لإنهاء الجملة في مكان ما لأن الغرض ليس معرفة حدود الجملة ونهايتها بل الهدف هو وصف السلاسل اللفظية المتصلة في النظام اللغوي والتي لا يوجد حد لنهايتها. جملة النظام هي مجرد تمثيل رمزي يصف النظام فعلى قدر القانون الذي أريد وصفه في ذلك النظام يكون استخدام الجملة طولاً أو قصرا. أما الجملة الكلامية فلأنها جملة واحدة فقط (الجملة المفيدة) فلا يوجد إشكال في تحديد نهايتها. النهاية فيها هي حين يستطيع المتحدث الوقوف عليها لأن المستمع أو القارئ لا يحتاج إلى قول أو تلقي المزيد ليتحقق الفهم. الوقوف عليها أثناء الحديث يكون بالسكوت وعند الكتابة يكون بنقطة. بالنسبة للجملة النصية فهي التي لابد من وضع حد لنهايتها لأنها داخل نص مكوّن من عدة جمل نصية. لو لم يتم فصل كل جملة عن أخرى بنقطة فسوف تتداخل الجمل بطريقة تربك القارئ أو المستمع مما يعوق الرسالة التواصلية. وضع النقطة لا يكون بطريقة اعتباطية وإلا لقاد إلى اختلاف في تحديد المكان المناسب لإنهاء الجملة مما يسبب خللاً عميقاً في العملية التواصلية. وضع النقطة في المكان المناسب هو المحصلة النهائية لإدراك مفهوم الجملة النصية.

مما سبق ندرك أنّ المشكلة الكبرى في الكتابة العربية هي عدم القدرة على تحديد نهاية الجملة النصية مما يدل على تداخل المفاهيم المختلفة للجمل في ذهن الكاتب. إذاً تعريف الجملة النصية الذي اقترحته هو البداية التي

يمكن أن نتكئ عليها في تمييز المفهوم بطريقة تجعل أي كاتب عربي قادراً على تحديد نهاية الجملة النصية بطريقة أدق. قلت إنّ الجملة النصية (هي التي استوفت جانبي التركيب والدلالة الجزئية المستقلة منجزة في مقام ما يجعلها مع بقية الجمل النصية نصاً مكتملاً ذا رسالة قصدية واضحة). نلاحظ هنا ضرورة وجود ثلاثة أركان أساسية في التعريف وهي التركيب، الدلالة الجزئية المستقلة، بالإضافة إلى كونها داخل سياق تواصلي معين.

المصادر والمراجع

1- ابن جني، أبو الفتح عثمان (١٩٩٩): الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط ٤/ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

2- الأزهر الزناد، (١٩٩٣): نسيج النص؛ بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، ط١/ المركز الثقافي العربي.

3- البخاري، محمد بن اسماعيل (٢٠٠٢): صحيح البخاري، ط١/ دمشق . بيروت، دار ابن كثير.

4- عبدالرحمن أيوب (د. ت): دراسات نقدية في النحو العربي، الكويت . مؤسسة الصباح نشر وتوزيع.

5- عفيفي، أحمد (٢٠٠١): نحو النص؛ اتجاه جديد في الدرس النحوي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.

6- العكبري، ابن برهان (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م): شرح اللمع، تحقيق الدكتور: فائز فارس، ط١/ الكويت . السلسلة التراثية.

7- ليونز، جون (د. ت): اللغة وعلم اللغة، ط١/ دار النهضة العربية.

8- نحلة، محمود (١٩٨٨): مدخل إلى دراسة الجملة العربية، بيروت، دار النهضة العربية.